مراسيم(*) السلطان غازان الإصلاحية في القضاء والعمران والمجتمع

د/ خيرية بنت محمد علي آل سنة

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة

كلية الآداب- جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن - المملكة العربية السعودية

السلطان غازان:

قبل البدء في تناول إصلاحات هذا السلطان لا بد من أن نتناول شيئاً من حياته. فهو غازان خان[1] بن أرغون بن آباقاخان بن هولاكو خان بن تولوي خان بن جنكيز خان، وهو سابع الإيلخانيين حكام إيران. ولد سنة (٦٧١هـ/ ١٢٧١م)، وقد قام جده آباقاخان بأخذ غازان ليتولى تربيته بنفسه، وقد وافق والده على ذلك، وحرص جده على أن يتعلم ويتثقف في علوم المغول وآدابهم، ودربه على الفروسية والرماية[2].

(*) مفرده: مرسوم، وهو ما يصدره الحاكم كتابة في شأن من الشئون؛ فتكون له قوة القانون. أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مطابع الأوفست بالقاهرة، ط٣، ١٩٨٥م، مادة: ر. س. م، جـ١، ص٣٥٨.

(١) الخان: بمعنى الحاكم أو الملك أو رئيس قبيلة. (أحمد، محمد أحمد: دخول مغول العراق وفارس الإسلام، دار الفكر العربي، (د.ط)، (١٩٨٨م)، ص٧.

(٢) رشيد الدين، فضل الله بن عماد الدولة الهمداني (ت/ ٧١٨هـ): جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، ترجمة: فؤاد الصياد، القاهرة – الدار الثقافية للنشر، ط(١)، (٢٠٠٠م)، ص٨٧ – ١٠٢؛ وابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت/ ٨٥٢هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مصر – دار الكتب الحديثة، (د. ط. ت)، ج٣، ص٢٩٢؛ وخواندمير، غياث الدين بن همام الحسيني (ت/ ٩٤٢هـ): حبيب السير في أخبار أفراد البشر، جلدسوم، انتشارات كتابخانة خيام، تهران (١٣٣٣هـ. ش)، جـ٣، ص١٤٠.

بعد وفاة جده اهتم والده أرغون خان بابنه، وعمل على تهيئته لتولي المهام الخطيرة، فنصبه والياً على إقليم خراسان الذي كان يعد أهم الثغور في دولة المغول، فظهرت مقدرته على إدارة هذه المناطق. ونظراً لعلو همة غازان فقد استمر والياً على خراسان في عهد الإيلخانَيْن اللذين خلفا أباه في تولي العرش، وهما: كيخاتوخان[1]، وبايدوخان[2].

وفي عهد الأخير ظهر له منافس قوي من أسرته هو غازان خان الذي طالب بحقه في العرش، وطالب بدم عمه كيخاتون الذي قُتل على يد بايدو، فانضم إليه الكثير من المؤيدين من أمراء المغول والرعايا[3].

شهدت دولة الإيلخانيين في عهد غازان أحداثاً مهمة، من أبرزها أنه اعتنق الإسلام وشجع المغول على اعتناقه، وتسمى باسم "محمود"[4]، وتبعه ما يقرب من

---

(١) كيخاتو خان أخو أرغون والد السلطان غازان، وقد تولي السلطنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م). (الغياثي، عبد الله بن فتح الله: التاريخ الغياثي، تحقيق: طارق نافع الحمداني، بغداد – مطبعة أسعد، (د. ط) (١٩٧٥م) ص٤٨.

(٢) بايدو بن طراغاي بن هولاكو خان، قام بقتل كيخاتو وصار ايلخانا لفترة قصيرة من جمادى الأولى ذي القعدة سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م). (رشيد الدين: جامع التواريخ / الإيلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من أباقاخان إلى كيخاتو خان)، نقله إلى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد الصياد، راجعه يحيى الخشاب، مصر – دار إحياء الكتب العربية (د. ط. ت)، م٢، ج٢، ص١٨٤ – ١٨٨؛ وأبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت/ ٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر، بيروت – دار المعرفة، (د. ط. ت، ج٤، ص٣٢؛ وابن الوردي، زين الدين عمر (ت/ ٧٤٩هـ): تتمة المختصرة في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، بيروت – دار المعرفة، ط(١)، (١٩٧٠م)، ج٢، ص٣٤٢؛ الغياثي: المصدر السابق، ص٤٩.

(٣) القرماني، أحمد بن يوسف (ت/ ١٠١٩هـ): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بيروت – عالم الكتب، (د. ط . ت)، ص٢٧٨؛ وإقبال، عباس: تاريخ المغول منذ حملة جنيكزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوب، (د. ط. ت)، ص٢٦٤ – ٢٦٦؛ والصياد، فؤاد عبد المعطي: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكوخان)، قطر – جامعة قطر، (د. ط)، (١٩٨٧م)، ص٢٣٩.

(٤) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت/ ٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر – وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د. ط. ت)، ج٨، ص٥٩.

مائة ألف شخص[1]، وكان أول مرسوم أصدره ينص على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، وأن الآداب والرسوم يجب أن تجري طبقاً لما تنص عليه الشريعة الإسلامية[2].

كما أقدم غازان على خطوة أخرى، حيث أعلن الاستقلال عن الخان الأكبر، وكان من قبل يعمل باسمه، فاتخذ لنفسه صفة الحاكم بقوة السماء(٣)، ولقب نفسه بلقب "الخاقان"(٤) وكان هذا اللقب مقصوراً على إمبراطور المغول الأعظم، الذي كان يحكم منغوليا وهكذا كتب اسمه على السكة على هذا النحو: "السلطان الأعظم غازان" وأضاف إلى اسمه هذه الكلمات: "بتأييد الله المتعال"[5].

وكعادة المغول كان الصراع على العرش من الأحداث التي تواجه كل إيلخان جديد، وقد اتخذ بعض الأفراد - في عهد غازان- من الدعوة لحماية الديانة المغولية ستاراً لتحقيق أغراضهم، وقد تم القضاء عليهم[6].

---

(١) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، ص١٢٣؛ وخواندمير: حبيب السير، ج٣، ص١٤٤؛ الشوكاني، محمد بن علي (ت/ ١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة – مطبعة السعادة، ط(١) (١٣٤٨هـ) ج٢، ص٢؛ وشبارو، عصام محمد: السلاطين في المشرق العربي (المماليك)، بيروت – دار النهضة العربية، (د. ط. ت) ص ٣٤-٣٥.

(٢) ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق (ت/ ٧٢٨هـ): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بيروت – دار الكتب الثقافية، (د.ط) (١٩٨٧م) ص٢٢٩؛ وإقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، القاهرة – دار الثقافة، (د. ط)، (١٩٩٠م)، ص٣٧٥؛ الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص٢٦٢.

(٣) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت – دار العلم للملايين، ط(٥)، (١٩٩٦م)، ص٣٩١.

(٤) الخاقان: هو الحاكم الأعلى للمغول. (أحمد: المرجع السابق، ص٧؛ وردت عند الشوكاني بلفظ "الخان" (الشوكاني: المصدر السابق، ج٢، ص٣).

(٥) اشبولر، برتولد: تاريخ مغول در إيران،سياست، حكومت، فرهنگ دوره ء ايلخانات، ترجمة فارسي ازآلماني: محمود مير آفتاب، جاب بنجم، شركت انتشارات علمي وفرهنگ، تهران (١٣٧٤هـ. ش) (١٩٩٥م) ص٢٧٣.

(٦) ابن الوردي: المصدر السابق، ج٢. ص٣٤٨؛ وابن الفوطي: المصدر السابق، ص٢٣٢ – ٢٣٣؛ وبروكلمان: المرجع السابق، ص٣٩١.

عندما شعر غازان بقوته، استغل فترة الضعف التي سادت مصر بسبب النزاع حول السلطنة المماليكية، ولجوء بعض الأمراء المماليك إليه طلباً للحماية[1]، وشن حملته الأولى على الأراضي الشامية سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) وأوقع بالمماليك الهزيمة عند (مرج المروج) شرق حمص، بسبب تفوق جيشه عدداً وعدة[2].

كما التقت جيوش غازان مع الجيوش المصرية والشامية مرة أخرى في سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)[3] عند "مَرْج الصُّفَّر" جنوبي دمشق، وكانت معركة شديدة أسفرت عن هزيمة جيشه، وقُتل من جنده أعداد كبيرة، وفر الباقون[4].

كانت موقعة مرج الصفر إيذاناً بأفول نجم غازان خان، فقد اقترنت تلك الهزيمة بما حاكه بعض أمراء المغول من دسائس لخلعه عن العرش؛ وكان لذلك كله أسوأ الأثر على غازان فأسلم الروح وعمره لم يتجاوز الثالثة والثلاثين عاماً[5].

---

(١) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، ص ١٥٩ – ١٦٤؛ وابن تغري تردي: المصدر السابق، ج٧، ص١١٨ - ١٢٤.

(٢) أبو الفداء: المصدر السابق، ج٤، ص٤٢ – ٤٣؛ والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت/ ٧٤٨هـ): العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، بيروت – دار الكتب العلمية، (د. ط.ت) ج٣، ص٣٩٤؛ وابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية، وثقه: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت – دار الكتب العلمية، ط(١) (١٩٩٤م)، جـ١٣، ص٧٠.

(٣) ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط(٢) (١٩٨٢م) ق، ج١، ص٤١٢ - ٤١٣.

(٤) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، ص١٨٤؛ والذهبي: ذيول العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، بيروت – دار الكتب العلمية، (د. ط. ت) ج٤، ص٥؛ واليافعي، عبد الله ابن أسعد (ت/ ٧٦٨هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت – مؤسسة الأعلمي، ط(٢)، (١٩٧٠م) ج٤، ص٢٣٥ – ٢٣٦؛ العبد محمد علي: ابن تيمية والمغول، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت – السنة السادسة عشرة، العدد (١٨٧)، رجب (١٤٠٠هـ) ص١٠٠ - ١٠١.

(٥) الكتبي، محمد بن شاكر (ت/ ٧٦٤هـ): فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، بيروت – دار صادر، (د. ط. ت) ج٤، ص٩٧؛ وابن تغري بردي: المصدر السابق، ج٨، ص ١٦٤ – ١٦٥؛ والشوكاني: المصدر السابق، ج٢، ص٤؛ والغياثي: المصدر السابق، ص٥٣.

وشعر غازان بدنو أجله، فدعا الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة، لأخذ البيعة لأخيه أولجايتو (خدابنده)[1] بولاية العهد في توطئة سريعة تيسر له الطريق من بعده لولاية السلطنة، وتم له ما أراد، إذ تولى – بالفعل –أولجاتيو عرش الايلخانية في سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)[2].

إصلاحات السلطان غازان:

اعتنق غازان الدين الإسلامي عن إيمان وإخلاص، وكان ذلك دافعاً له على القيام بالعديد من الإصلاحات وتعديل في النظم التي كانت سائدة قبل توليه العرش.

وكانت هذه الإصلاحات لها أثرها فأعلت منزلته وخلدت ذكره في التاريخ؛ وذلك كله لأنه اتبع تعاليم الإسلام، وهدف من هذا التطبيق رعاية مصالح كافة الأمة في تلك الفترة. وكان عليه أن يقوم بإصلاحات جذرية لتعديل الأوضاع البائسة التي كان يحياها الرعايا في عهد أسلافه من السلاطين إلى حياة تحقق للرعايا الاستقرار وتؤمنهم على حياتهم وأرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم[3].

وقد شملت إصلاحات السلطان غازان العديد من الجوانب العمرانية، والقضائية، والاجتماعية. وقد وردت على هيئة أربعين مرسومًا في كتاب رشيد الدين[4]، نوردها على النحو الآتي:

---

(١) خدابنده: كلمة مركبة من "خدا" بمعنى الله، و"بنده" بمعنى عبد، أي: عبد الله، وتحرف أحياناً إلى "خربنده" ويقصد "مكاري". الصياد: المرجع السابق، ص٣٤٦؛ أولجاتيو: كلمة مغولية يعني مبارك (الصياد: المرجع نفسه، والصفحة نفسها).

(٢) أبرو، حافظ (ت/ ٨٣٤هـ): ذيل جامع التواريخ رشيدي، شامل وقايع ٧٠٣هـ.ق، باهتمام خانبابابياني، سلسلة انتشارات انجمن آثار ملي (٨٨)، جاب دوم، تهران، سال (١٣٥٠هـ. ش) ص٧٠؛ والقاشاني، أبو القاسم عبد الله بن محمد: تاريخ أولجاتيو، باهتمام مهين همبلي، نشر بنكاه، ترجمة ونشر كتاب، تهران (١٣٤٨هـ. ش)، ص ١٣ – ١٤؛ وخواندمير: المصدر السابق، ج٣، ص١٩١.

(٣) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، ص١٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٢ – ٤١٠.

أولاً - إصلاح القضاء:

نصت الحكاية العاشرة في كتاب: (تاريخ غازان) على نصح السلطان للقضاة والمشايخ والزهاد وأهل العلم والتقوى، فأسدى إليهم مختلف النصائح، وحذرهم مما هم فيه من الرياء، وأخافهم من عقاب الله في الآخرة، وأمرهم بالتزام العدالة. ومن لا يلتزم بذلك يجب على الملوك أن يبادروا بمعاقبتهم. وأمر أن تكون هذه التعليمات قاعدة ودستوراً تنتظم به شئون الملك. ونصح باتباع سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في كافة الأعمال، وحذرهم من الفساد، وسوء التأويل والتعصب المقيت، كما طلب إليهم تنبيهه إذا خالف الشرع.

ونظراً لما تعرض له القضاء من فساد فقد أصدر السلطان عدة مراسيم، وأزال الوثائق المزورة والادعاءات الباطلة، ومنع القضاة والخطباء الذين لم يكونوا على علم تام بالعلوم الشرعية من تحرير الوثائق، وأمرهم أن يحرروا الوثائق بطريقة واحدة تراعي أدق الأمور الشرعية. والمرسوم الأول بخصوص تفويض القضاة النظر في شئون القضاء، يتضمن قيام السلطان باختيار قاضٍ لكل ولاية ويرسل إلى الحكام والملوك بذلك، وحذر من التدخل في عمل القاضي، وعدم إخراج أي شخص حكم عليه القاضي بالسجن مهما كان منصب الطرف الذي يرغب في إخراجه، ويجب أن يأتمر بأمره الجماعة التي يعهد إليها بالقيام بالمهمات والشئون الشرعية.

وسار السلطان غازان على ما كان عليه جنكيزخان، حيث أصدر جنكيزخان مرسوماً يقضي بإعفاء القضاة والعلماء والعلويين من دفع الضرائب، وألا يأخذ الحكام منهم خيولاً أو دواب البريد، ولا ينزلوا في منازلهم، ولا يسمحوا للرسل بدخولها، ويدفعوا لهم مستحقاتهم دون تقصير، وأن يجازي كل من يتفوه بكلام عنيف أو يجيب إجابة غير لائقة أمام القاضي، أو يحاول أن ينتقص من حرمته.

كما حذر السلطان غازان من أن يطالب أي مخلوق القاضي بالحضور عنده، وإذا بَتَّ القاضي في أمر من أمور الشريعة بناء على ما قدمه من دلائل ومستندات، فإن عليه

ألا يتقاضى شيئاً من أي مخلوق في مقابل ذلك مهما كانت الأسباب، وإذا كتب وثائق جديدة فإن عليه طبقاً لحكم المرسوم أن يحضر الوثائق القديمة إلى "طاس العدل" وهو وعاء كبير مملوء بالماء فيه الوثائق الخطية القديمة؛ كي تمحى وتتلف.

ومن أمور القضاء التي تناولها السلطان غازان أنه إذا مثل خصمان أمام القاضي، وجاء كلاهما في حماية أحد الأشخاص، أو أنهما أحضرا معهما إلى دار القضاء جماعة من ذوي النفوذ بقصد الوقوف إلى جانب الخصمين أو أحدهما، في محاولة الضغط والتأثير على القاضي؛ فإنه في هذه الحالة لا يستمع لقضيتهما، ما لم يغادر هؤلاء قاعة المحكمة.

كما أصدر السلطان عدة مراسيم أخرى تناولت تحديد زمن للنظر في القضايا، وعدم عرض القضايا التي مضى عليها ثلاثون سنة، وضرورة إثبات ملكية البائع قبل البيع، وتأكيد الأحكام السابقة.

اهتم السلطان غازان باختيار من يتولى القضاء، فأصدر أمراً "بأن يتقلد منصب القضاء في كافة البلاد من يتفق الوضيع والشريف على أحقيته واستعداده لمباشرة هذا العمل الخطير..." كما قرر لهؤلاء القضاة مرتبات مجزية كي يقنعوا بها ولا يأخذوا شيئاً قط. كما حدد الولاية التي تتبع القاضي، فما كان منها بعيداً عن المدينة في هذه الولاية، ومن المناسب أن يعين لها قاضي للنظر فيها، يعين قاضي ثقة لهذه المدينة، أما القاضي في القرية إن وجدت قضية معقدة أو دعوى خطيرة، فعلى القاضي ان يأتي إلى المدينة، ويعرضها على قاضيها -قاضي المدينة- كي يفصل فيها. كما يعين رجل ثقة متدين ليحرر تاريخ الوثائق، في سجل وعليه أن يحافظ عليه.

وأكد السلطان غازان على ضرورة تأكد القضاة من صدق الشهود، وقد جعل هناك ضمانات يجب أن يتخذها القضاة قبل سماع الشهادة؛ ذلك لأن شهادة الشهود لا تكون خالية من هوى أو ميل إلى أحد المتخاصمين. وعلى القاضي أن يُحكم عقله وتفكيره حتى يقف على الحقائق، وعلى القاضي أن يسأل الشهود على انفراد؛ كي يتبين له التناقض في أقوالهم.

وأصدر السلطان حكماً أن من ثبت عليه التزوير والتدليس فعقوبته أن تحلق لحيته ويحمل على ثور، ويطاف به في المدينة، ويعزر تعزيراً[1] تاماً حتى يتعظ وينزجر، وكان السلطان غازان يرسل عيونه ومخبريه، يستقصون الأحوال، ويوافونه بكل من يثبت عليه الانحراف ليعاقبه ويكون عبرة لغيره[2].

ثانياً - الإصلاحات العمرانية:

كان السلطان غازان من السلاطين الذين اهتموا بالعمران، فأنشأ المساجد، والمدارس، ودار السيادة، والمستشفيات ودار الكتب، ودار القضاء، ودورات المياه، وحمام السبيل، وخصص لها أوقافًا للإنفاق عليها[3]. وقد شملت عدة مدن سنأتي على تفاصيل ذلك.

أ- القبة العالية:

كانت من عادة المغول منذ عهد جنكيز خان إلى ما قبل غازان خان أن يخفوا مواضع قبورهم، ويقيموها بعيدة عن العمران، بحيث تظل سراً مخفياً عن الناس، ولكن عندما اعتنق غازان الإسلام، حرص على أن يقيم شعائره، وخاصة أنه قام بزيارة قبور الأئمة، والأولياء في بغداد، فقال السلطان غازان "... وحيث أننا اعتنقنا الإسلام، ينبغي أن يكون شعارنا كذلك مطابقاً لطريقة المسلمين، ولا سيما أن الرسوم الإسلامية أفضل بكثير من تلك العادات"[4]. وبذلك يكون أول سلطان مغولي يدفن في مقبرة ظاهرة[5].

---

(١) التعزير: تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود، ويكون بالعصا أو بالسوط، ويجوز في نكال التعزير أن يجرد من ثيابه إلا قدر ما يستر عورته. (انظر: رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، ص٢٥٥ هامش رقم (١).

(٢) رشيد الدين: المصدر نفسه، ص٢٥٣ - ٢٧٩.

(٣) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، ص٢٤٣ -٢٥٢.

(٤) رشيد الدين: المصدر السابق، ص ٢٤٣ – ٢٤٤؛ والمستوفي القزويني، حمد الله بن أبي بكر (ت/ ٧٥٠): تاريخ كزيدة، باهتمام دكتر عبد المحسين، تهران (١٣٣٩هـ. ش)، ص٦٠٦.

(٥) المستوفي القزويني: المصدر السابق، ص٦٠٦.

ولذلك بدأ السلطان في إنشاء هذه القبة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) في محلة غربي تبريز[١] تعرف باسم "شام غازان" أو "شنب غازان" أمر المهرة من المهندسين والعمال بأن يقيموا مقبرته هناك، وهي عبارة عن بناء مرتفع تعلوه قبة كبيرة، واستمرت عمارة القبة وما يتبعها خمس سنوات حيث تمت سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)[٢].

ب- مرافق تتبع القبة العالية:

وبالقرب منها مدرسة، وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر من الخبز واللحم والأرز المطبوخ بالسمن والحلواء، وهي ما بين أنهار متدفقة وأشجار مورقة، وبها سوق يسمى سوق غازان من أحسن الأسواق، وبه أنواع الحرف والمهن حسب ما وصف ابن بطوطة أثناء نزوله في شام غازان[٣].

ومما شُيد في تبريز وهمدان وغيرها من البلاد المساجد الجامعة، وكانت تزود بالفرش، وثمن الشمع المذاب والعطور، وتحدد المرتبات للخطباء والأئمة والوعاظ والمؤذنين والمكبرين والعمال، وكذلك الحال بالنسبة للمدارس فقد شيد مدارس للشافعية والحنفية زودها بالفرش ونفقات الإضاءة والعطر، والمعدات الخزفية وغيرها، وحدد مرتبات للمدرسين والمعيدين والفقهاء والعلماء، وبنى مدرسة للأيتام يدرس فيها مائة يتيم يُدرس لهم القرآن، حيث تُقدم لهم العيدية ويكونون وقتها قد حفظوا القرآن الكريم، ويعملون بالسنة، ثم يحل محلهم أطفال آخرون، وكانت تقدم هدية

---

(١) تبريز: من أشهر مدن أذربيجان، اشتهرت بأسوارها وطبيعتها الجميلة (الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت/ ٦٢٦هـ): معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت – دار الكتب العلمية، ط (١) (١٩٩٠م)، ج٢، ص١٥.

(٢) الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، القاهرة – دار الكتاب العربي، ط(١)، (١٩٦٧م)، ص١٢٦.

(٣) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي (ت/ ٧٧٩هـ): رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به درويش الجويدي، بيروت – المكتبة العصرية، (د. ط) (١٤٣٣هـ)، ج١، ص٢٠٨.

للمدرسة عبارة عن مائة مصحف جديد تشترى كل سنة. وتقدم مرتبات لخمسة معلمين وخمسة رقباء يلازمون الأطفال، وخمس نسوة يقمن على رعايتهم، وكانت هذه المدرسة تزود بالفرش، ومما تدعو الحاجة إليه. كما تم إنشاء دار الكتب وتزود بالفرش، وثمن الشمع المذاب، ومن يقوم بإصلاح الكتب وترميمها، وسداد ثمن الكتب الضرورية[١].

ومن المنشآت الاجتماعية في عهده الخانقاه[٢]، وقد زودت بالفرش، وأدوات المطبخ، ونفقات الإضاءة والعطر، وطعام الإفطار والعشاء، والحفلات بواقع مرتين في الشهر، وتجرى الجرايات للمشايخ والأئمة والمتصوفة والمنشدين والخدم وأصناف العمال الآخرين، وهناك صدقات للفقراء والمساكين لسداد ثمن الكرباس[٣] والأحذية وغيرها.

ودار السيادة تؤمن فيها معاشات السادة من النقباء المقيمين فيها، والسادات القادمين والذاهبين، وكانت تضاف لها الفرش، وثمن الشمع المذاب والعطر. وكان في هذه الدار مشرف يؤدي الخدمة للسادات، وخصصت رواتب للخدم والطهاة والعمال الآخرين الذين يقيمون فيها[٤].

ج- المرصد:

وفي سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) زار السلطان غازان المرصد[٥]، حيث تفقد آلاته، وسأل المختصين عن كل ما فيه، ثم أمر بإقامة مرصد جديد آخر بجانب القبة العالية،

---

(١) رشيد الدين: جامع التواريخ "تاريخ غازان"، ص٢٤٥ - ٢٤٩.

(٢) الخانقاه: تكايا الصوفية والزهاد. (ذبيح الله صفا "دكتر": تاريخ أدبيات در ايران، كتاب سوم، انتشارات فردوسي، جاب"، تهران (١٣٧٣هـ. ش) مطابق (١٩٩٤م)، جلد أول، ص١٦٥.

(٣) الكِرْباس: ثوب. كلمة فارسية، وبَيَّاعه: كَرابيسيّ (ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص١٩٥).

(٤) رشيد الدين: جامع التواريخ "تاريخ غازان"، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٥) أقام هذا المرصد في مدينة مراغة العالم الرياضي والفلكي نصير الدين الطوسي بناء على أمر هولاكو، وكان مزودًا بأدق الأجهزة. وآلات الرصد. (انظر الصياد: المغول في التاريخ من جنكيز خان إلى هولاكوخان، القاهرة - المكتبة التاريخية (د. ط)، (١٩٦٠م)، ص٣٢٥).

وزوده بالفرش والعطر والشمع المذاب، وحدد معاشات مدرسي العلوم الدينية والمعيدين والمتعلمين والخزنة والمناولين وسائر العمال، كما أمر بإصلاح وترميم الآلات وأدوات الساعات والمرصد.

د- المستشفى ودار القضاء ودورات المياه:

كما أقام دار الشفاء (المستشفى) وزودها بالفرش والعطر والآلات الخزفية، والأدوية والأشربة والمعاجين والمراهم والحساء الخفيف، وثياب النوم، وملابس المرضى، وتصرف مرتبات للأطباء والكحالين والجراحين والخزنة والخدم وسائر العمال، كما كان يتم تجهيز الأموات الذين يتوفون هناك.

وأنشأ دارًا للقضاء تزود بالفرش وثمن الشمع المذاب، ونفقات إعداد القوانين ونسخها وتجديدها[1]. وأنشأ دورة المياه وزودها بالشمع المذاب والعطر والأباريق والجرار والأكواز، وعُين فراش واحد يقوم بالخدمة ويخصص له جراية، كما خصص حمَّامًا للسبيل زوده بالمآزر والدلاء[2] والعطر والمصابيح والحطب ووقود موقد الحمام، وخصص جرايات للعمال من الحمامين والدلاك وحارس الملابس والوقّاد.

هـ- المساجد والحمامات:

وقد أصدر السلطان غازان مرسوماً يقضي بإقامة مسجد وحمام في كل قرية من قرى كل الممالك. وخلال ما يقرب من عامين أقيمت في كل البلاد المساجد والحمامات في الأماكن التي لم يكن فيها مساجد ولا حمامات. وقد تم تحصيل دخول مرتفعة من تلك الحمامات، فأمر السلطان بأن ينفق منها على ما يلزم الحمامات، وعلى شئون المساجد من

---

(١) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، ص٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢) الدلاء: مفردها دلو، وهو إناء يلقى في البئر أو غيرها ويستقى به. (أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: (د. ل. و) جـ١، ص ٣٠٥).

تعمير وفرش وإنارة وصرف أجور للخدم[1]. كما أن السلطان غازان وقف جزءًا كبيرًا من أملاكه الخاصة للإنفاق عليها، وسجل حجة الوقفية، وشهد عليها القضاة والعلماء، وسميت بأبواب البر، وعهد إلى وزيره رشيد الدين بالإشراف عليها[2].

و- بناء مدينة أوجان:

جدد السلطان غازان عمارة مدينة أوجان التي تقع على مسافة ثمانية فراسخ على مفترق طريق "ميانة"، كما أقام فيها عدة أبنية جديدة، منها: الأسواق والحمامات، وأطلق عليها اسم: مدينة الإسلام، وكان يصرف دخل هذه المدينة والقرى المجاورة على المؤسسات الخيرية التي شيدها[3].

ثالثًا - الإصلاحات الاجتماعية:

عمل السلطان غازان على تأمين حياة الناس من المخاطر حتى ينطلقوا في أمان إلى أعمالهم، ويجنوا ثمار تعبهم، ويعم الرخاء وتتقدم البلاد. فورد في الحكاية السابعة عشرة والتي تحمل عنوان: "في المحافظة على الرعايا ورعايتهم ودفع الظلم عنهم" : أن الرعايا كانوا يتعرضون لأنواع من الظلم والجور والتطاول، فقد نهض السلطان لتدارك هذا الخلل؛ ولهذا أصدر السلطان مرسومًا بأنه إن شاهد بنفسه، أو عرض عليه أن أحد المقربين أو الجند قد ألحق بالرعية مشقة أو أذى، أو اغتصب شيئاً، أمر في الحال بأن يستردوه منه بضربه بالعصي؛ ليكون عبرة للعاملين، كما أمر عندما يصل الركب إلى إحدى القرى، أن يشتري أتباعه بالعملة الذهبية حاجاتهم، وأن يدفعوا دينارين أو ثلاثة لكل ما يساوي ديناراً واحداً. ويقصد من ذلك أنه عندما يرى الآخرون هذا

---

(١) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان) ، ص٢٤٧، ٣٦٣.

(٢) رشيد الدين: المصدر نفسه، ص٢٤٤؛ خواندمير: المصدر السابق، م٣، ص١٨٨ – ١٨٩؛ وصاف الحضرة: المصدر السابق، ص٣٨٤؛ والقاشاني: المصدر السابق، ص١٠٧.

(٣) وصاف الحضرة: المصدر السابق، ص٣٨٤؛ بارتولد، فازيلي: تذكرة جغرافياي تاريخي إيران، ترجمة: حمزة سرداورر (طالب زاده)، طهران (١٣٠٨هـ.ش)، ص٢٧٣.

السلوك يلزمون حدودهم، ويتجنبون الجور والطغيان، ويقتدون بتلك الطريقة[1].

وفي الحكاية التاسعة عشرة والتي بعنوان: "القضاء على اللصوص وقطاع الطرق، وحماية الطرق في البلاد من شرهم" عمل السلطان غازان على تامين الناس على حياتهم وأموالهم ضد غارات اللصوص وقطاع الطرق، الذين كانوا يشنون غاراتهم على قوافل التجارة والمشاة والمارة، ويسلبونهم أمتعتهم، بل يقتلونهم. وكان هؤلاء اللصوص متفقين مع حراس الطرق مما زاد في جرأتهم وإجرامهم، وكان الأهالي يعلمون ذلك ولكن لا يستطيعون الإفصاح عن ذلك خشية بطشهم.

ولهذا أصدر السلطان عددًا من القرارات أولها أن كل مخلوق ينفصل عن رفاقه وقت هجوم اللصوص، ولا يتعاون مع الآخرين في العمل على مقاومتهم يكون مذنباً، وتقع عليه إراقة دماء رفاقه وإزهاق أرواحهم، كما أصدر قرارًا بأن مسئولية اقتفاء أثر هؤلاء اللصوص والعثور عليهم يقع على عاتق من يكون أقرب إلى المكان الذي تعرض للسرقة، خصوصاً إذا أخبروا بهجوم هؤلاء اللصوص، وكذلك أصدر قرارًا ثالثاً مؤداه أن كل مخلوق من المغول والرعايا المسلمين يكون قد تواطأ مع اللصوص، وثبت عليه ذلك يقتل فوراً دون محاباة. وقد عهد إلى الأمير "أيتقول" أحد المقربين إليه، والمشهور بنزاهته بتنفيذ هذه الإجراءات، فقبض على طائفة من اللصوص وأعدمهم جميعاً؛ فأوقع الرعب في نفوس بقية اللصوص.

كذلك عين الحراس للمرابطة على مفارق الطرق والأماكن النائية، وأمر السلطان غازان بإقامة أعمدة من الجص والحجر تعلق عليها ألواح تتضمن عدد الحراس المكلفين بحراسة كل منطقة، والرسوم التي يجب تحصيلها من الأهالي عن كل دابة يمتلكونها في مقابل حراستها؛ وذلك حتى لا يتجاوز الحراس تلك المواضع، والعدد المعين للحراسة، ولا يتقاضوا ما يزيد على الرسوم المقررة، ويطلق على هذا اللوح "لوح العدل".

---

(١) رشيد الدين: المصدر نفسه، ص ٣٠٦ – ٣٠٧؛ وخواندمير: المصدر السابق، م٣، ص٢١٣.

وقبل وضع اللوح كان كل مخلوق يدعي أنه من رجال البريد، ويرابط في مفترق الطرق، ويأخذ الإتاوات بعلة السماح بالمرور. أما في عهد السلطان غازان فالأمر مختلف فقد كُتب صراحة على اللوح أن كل مخلوق يرابط خارج هذه المواضع المحددة يعد لصًا؛ فلم يجرؤ أحد على المرابطة في مكان آخر.

وإن حدث أن اللصوص سطو على أي مكان فإنهم يساقون ومعهم الأموال التي اغتصبوها، وعلى هدى هذه الإجراءات انتهج أقوم الترك هذا الأسلوب، فعم الأمان، واستتب الأمن في الطرق.

كما أصدر السلطان قراراً يقضي بأن أفراد كل قافلة والمسافرين الذين ينزلون في الطرق الكبيرة بالقرب من القرى أو في دار البريد عليهم أن يسألوا أشراف القوم الموجودين في هذه المناطق: "هل يوجد لصوص أو لا؟" فإذا أجابوا: نعم يوجد، فإن على هؤلاء المسافرين أن ينزلوا في دار البريد أو في القرية. ويجب على المسئولين ألا يمنعوهم من النزول هناك. أما إذا قالوا: لا يوجد لصوص، وهم ينزلون في الصحراء وتصادف أن ظهر لصوص وسلبوا شيئاً، فإن المسئولية تقع على عاتق هؤلاء القوم.

لكن هذا الحكم لم ينفذ في أطراف المدن؛ لأنه يتعذر تنفيذه هناك. وقد بلغ عدد حراس الطرق ما يقرب من عشرة آلاف شخص. وصدر أمر بألا يشتغلوا بعمل آخر، وأن يحافظوا على حياة جمهور المسافرين وأموالهم مما يتيح لهم أن يروحوا ويجيئوا في أمان واطمئنان[1].

وشملت اهتمامات السلطان جميع فئات المجتمع؛ فاهتم بالأطفال اللقطاء الذين يُلْقَى بهم في الطريق، فيؤخذون وتدفع أجور المرضعات، وما يحتجن إليه حتى يبلغ هؤلاء الأطفال سن الرشد. كما أنشأ مدرسة للأيتام والبالغ عددهم مائة يتيم يُدَرسْ لهم القرآن، وتقدم لهم العيدية، ويهدى لهم مائة مصحف جديد تشترى كل سنة. وعين في هذه المدرسة خمسة معلمين وخمسة رقباء يلازمون الأطفال، وخمس من النسوة يقمن

---

(١) رشيد الدين: المصدر السابق، ص٣١٥ – ٣١٨؛ وخواندمير: المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٣.

على رعايتهم، وترتب المدرسة بالفرش[1].

واهتم بشئون الأرامل الفقيرات فكان يصرف لهن القطن كل سنة؛ ليكون رأسمالهن على أن تمنح كل واحدة من الأرامل البالغ عددهن خمسمائة أرملة، أربعة أمنان[2] من القطن المحلوج[3].

كما أصدر السلطان مرسومًا أرسله إلى كل البلاد منع فيه الجنود وغيرهم من التفوه بكلمات الكفر، حيث بلغه أن بعض الجنود وغيرهم كانوا يتباهون عندما يسيرون إلى ميادين القتال، ويتيسر لهم الفتح والنصر، فيقولون: نحن فعلنا هذا وفعلنا ذلك. وقد تيسر تدبير المهام العظيمة بواسطة فلان..، وكانوا -أحيانًا- يعودون - على العكس من ذلك - حاسرين غير موفقين فيقولون: كان ذلك قضاء الله...". فلم يستسغ السلطان ذلك وراح بدافع غيرته على الدين يقول: إن هذا الكلام كفر محض. وعليه فإن كل شخص يعتقد بذلك ويتفوه به يكون مذنباً. وفي الآخرة يكون مثواه النار[4]. وينبغي أن يثق أن الحسنة من فضل الله، وأن السيئة إنما هي نتيجة أفعاله المستهجنة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾[5].

كما أصدر مرسوماً بأن على أصحاب البيوت أن يطعموا مما عندهم، فيطعمون كل شخص يقصد ديارهم ويعدوا له هذا الطعام سواء قل أم كثر، وأن يسلكوا معه طريق المروءة، وأن يعاشروا الناس جميعاً بالتواضع. كما نص على أن الذين يقصدون بيوت الناس لا يتخذون هذا الأمر ذريعة لمطالبتهم بما يشاءون؛ إذ إن ذلك متروك لمروءة أصحاب البيوت. فليس لهم أن يطالبوا أو يظنوا أن أحدًا مكلف بتقديم شيءٍ

---

(١) رشيد الدين: المصدر السابق، ص٢٤٩.

(٢) المَنّ: وحدة وزن تساوي (٢٦٠) درهماً. (رشيد الدين: المصدر السابق، ص٢٣٧).

(٣) رشيد الدين: المصدر السابق، ص٢٥٠.

(٤) رشيد الدين: المصدر السابق، ص٢٣٦.

(٥) سورة النساء: الآية ٧٩.

لهم، بل إن ذلك الأمر يتعلق بما يتصفون به من مروءة، وقد أرسل المرسوم، وأمر بأن ينادوا به في كل البلاد[1].

وقد امتد اهتمام السلطان غازان إلى الأسرة فأصدر مرسوماً لتنظيم شئون الأسرة بمنع المغالاة في صداق الزواج؛ لأن الرسول (عليه الصلاة والسلام) قد استحسن المهر القليل في الزواج؛ فينبغي أن يخفض الناس الصداق إلى أقصى حد، بحيث لا تجب عليه الزكاة. وبناء على هذا تقرر ألا يزيد كل الصداق على تسعة عشر ديناراً ونصف؛ ذلك لأنه ليس هناك إثم في الصداق القليل، كما أن الشخص الذي يحب زوجته لا يمكن التفريق بينها مهما بلغ التحايل والإجبار. أما الزوجان اللذان لا يوجد بينهما وفاق فمن الأولى أن ينفصلا بأسرع وقت ممكن؛ كي يتخلصا من المتاعب، ويستفيد كل منهما؛ لأنه ثبت أن بعض الزوجات لا يحبهن أزواجهن، فإذا ما طُلِّقن فإن الآخرين يتزوجون منهن ويحبونهن فتكون هناك فائدة للطرفين، علماً بأن تحديد الصداق ومؤخره من شئون الحياة الموكل معظمها إلى اجتهاد المفكرين والمصلحين. ومتى رأى الحاكم تحديد ذلك بقدر معلوم بحيث يتلاءم مع مصلحة جميع الناس؛ فإنه جائز قطعًا، وليس في الشرع ما يمنعه[2]، إذ هو من المصالح التي تتفق مع مقاصد الشارع كما جاء في الحديث: "يسروا ولا تعسروا"[3].

ومن مظاهر اهتمام السلطان بالرعايا إصداره مرسوماً بإقامة المساجد والحمامات في القرى بكل البلاد، حيث لا يخفى أن احتياج الناس إلى الحمامات والمساجد من الأمور الضرورية، وفي بعض من ولايات مملكته لم يبن في القرى شيئاً من كلا النوعين، ولم يدبر ملوك الإسلام ذلك قبل عهد غازان، ومن المؤكد أن الأهالي في تلك الأماكن لا يقيمون صلاة الجماعة، ولا يتيسر لهم غسل الجنابة والتنظيف، كما هو مشروط شرعاً؛

---

(١) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، ص٢٣٧.

(٢) رشيد الدين: المصدر السابق، ص ٣٦١- ٣٦٢؛ خواندمير: المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٣) آل محمود، عبد الله بن زايد: تحديد قضية الصداق، قطر، (١٣٩٦هـ)، ص١٠، والحديث في: البخاري: الصحيح: كتاب الأدب، باب: يسروا ولا تعسروا، تصحيح محمد منير الدمشقي، بيروت، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٥م، جـ٨، ص٥٥ (رقم ١٤٩).

مما يسبب خللاً في دينهم.

ولعلاج هذا النقص أصدر السلطان مرسوماً يقضي بإقامة مسجد وحمام في كل قرية من قرى الممالك. ويعد مجرماً وآثماً من لا ينفذ هذا الأمر. وخلال ما يقرب من عامين أقيمت في كل البلاد المساجد والحمامات في الأماكن التي لم يكن فيها مساجد ولا حمامات. وشمل التنظيم أمور هذه الحمامات فقد كانت أجورها مرتفعة، فأمر السلطان بأن ينفق منها على ما يلزم تلك المؤسسات، وعلى شئون المساجد من تعمير وفرش وإنارة وصرف أجور للخدم[1].

وفي الحكاية التاسعة والعشرين صدر مرسوم يمنع الناس من احتساء الشراب، حيث إن بعض الرعايا في الممالك يقدمون على شرب الخمر[2] وتناول المسكرات، وكانوا يعبثون بسبب سكرهم في الأسواق والمجتمعات؛ فيؤذي بعضهم بعضًا. ولأن المسكرات حرام ومنهي عنها في المذاهب والملل، وبسبب ما تقرر عنها وما ورد في ذمها بحصر المفاسد التي تنتج عنها، ولتدارك هذا الخلل، قال السلطان غازان: إن النبي عليه السلام وسائر الأنبياء قالوا بتحريم الخمر، والنصوص قاطعة في ذلك الشأن. هذا على حين أن الخلائق لا ينزجرون ولا يتركون الشراب، وإذا منعنا الشراب تمامًا، فمن المؤكد أنه لن ينفذ ذلك. بناء على هذا فقد تقرر أن تكون العقوبة بأن يقبض على كل شخص يجدونه ثملاً في المدن والأسواق، وأن يعرى، ثم يربط إلى شجرة[3] وسط السوق حتى يمر عليه الناس، ويوبخوه فينتبه وينزجر.

وبهذا قضى السلطان على الفساد الناجم عن احتساء الشراب وعلى مشاجرات

---

(١) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، ص٣٦٣.

(٢) الخمر: هو ما أسكر وخامر العقل، مثل: عصير العنب، أو الحبوب وغيرها. (ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت/ ٧١١هـ): لسان العرب، بيروت – دار صادر، ط (٣)، (١٩٩٤م)، ج٤، ص٢٢٥).

(٣) يذكر وصاف الحضرة أنه في عهد غازان كان أهل شيراز يسمون هذه الشجرة "عروس السكارى" (عروس ستان) (وصاف، أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله (وصاف الحضرة): تاريخ وصاف، بمباي، (١٣٩٦هـ) ص٣٧٨).

السكارى وخصوماتهم في الأسواق والمجتمعات. ولم يكتف السلطان بذلك بل نظم القبض على السكارى فأمر السلطان بألا يدخل أي مخلوق منازل الناس للبحث عن السكارى حتى لا يسلك العسس سلوكاً يتجاوز حد الاعتدال وذلك مراعاة لحرمة المساكن والحياة الخاصة للناس، وخوفاً من إلحاق الأذى بأهلها[1].

وفي المرسوم الثامن والثلاثين صدر الأمر بإقامة دور خاصة للرسل في البلاد ومنعهم من النزول في منازل الناس؛ وذلك لأنه -قبل عهد السلطان غازان- كان ينزل دائماً في كل مدينة في منازل الرعايا والملاك ما يزيد على مائة أو مائتين من الرسل، وكذلك الحال عندما يصل الوافدون من غير الرسل إلى إحدى المدن فإن الحكام ينزلونهم في بيوت الناس بدعوى إقامة علاقات المودة والصداقة. وكان هؤلاء يستولون من بيوت الناس على السجاجيد وملابس النوم وأدوات المطبخ، كما كان الحكام يسلبون بيوت الرعية. وقد ترتب على هذا أن أحداً لم يعد يقدم على بناء منزل من العامة. والذين شيدوا بيوتاً — من قبل- حولوها إلى مقابر، وأطلقوا عليها اسم أربطة أو مدارس. واستغنى الناس عن استعمال أبواب منازلهم، واتخذوا لهم ممرات شائكة تحت الأرض حتى تكون سراً مجهولاً.

نتيجة لما تقدم فقد أمر السلطان غازان بألا يرسل رسول واحد - من كل المائة أو المائتين من الرسل والأتباع الذين كانوا من قبل يذهبون عبثاً إلى الولايات - إلا إذا كان إيفاده لتصريف مصالح الملك الضرورية؛ وأن يذهب لهذه المهمة الرسل العداءون وسعاة البريد بحيث لا يمرون على قرية أو مدينة، ويكون توقفهم فقط لطعام يتناولونه على عجل، أو لركوب جواد آخر، أو لقضاء حاجة. وإذا دعت الضرورة لإيفاد أحد الرسل لتحصيل الأموال — وهذا نادرًا ما يحدث — فإن السلطان أمر بتشييد دور خاصة لضيافة الرسل كي ينزلوا فيها في المدن. وقد زودت هذه الدور بالفرش وملابس النوم، وكل ما يحتاج إليه. وكذلك خصصت مبالغ من الأموال تنفق دائماً على هذه الدور

---

(١) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، ص ٣٦٤-٣٦٥؛ وخواندمير: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٦.

وتعميرها. وأصدر السلطان مرسوماً يقضي بأن يقيم الحكام لأنفسهم وأتباعهم منازل خاصة بهم أو يقوموا باستئجارها.

ونتيجة لذلك فقد زالت متاعب الناس، ولم يجرؤ أي وسيط على أن يطلب من أحد رغيفاً واحداً. وبسبب هدوء البال ورفاهية الناس شيدوا قصوراً رائعة، وشغلوا بالتعمير وإقامة الحدائق الغناء. والدار التي كان ثمنها مائة دينار صارت تباع بألف دينار. وأما السكان الذين كانوا قد نزحوا عن أوطانهم فإنهم أخذوا يعودون إلى مدنهم وديارهم القديمة[1].

ومما قضى عليه السلطان غازان في المرسوم التاسع والثلاثين عادات سيئة هي سلوك جماعة من أرباب الحرف الصغيرة من الحمالين والجمالين والمكارين وغيرهم من حراس الكلاب ومروضي الحيوان، إذا كانوا يضايقون الناس لا سيما ذوي اليسار والوجاهة منهم، ويطالبونهم بدفع مبالغ لهم لينفقوا على عشيقاتهم، وشرابهم ومطربيهم ومأكلهم... فإن لم يعطهم أو اعتذر لهم، بادروه بالسفاهة والوقاحة، وفي النهاية إما أن يعطيهم المال، وإما أن يضربوه ضرباً مبرحاً وقد يقترض الرجل حتى يعطيهم. وقد كان هؤلاء الصعاليك يقفون على مفارق الطرق، وفي أماكن تجمع الناس في الأسواق وبالقرب من الحمامات، وفي الأعياد، ويقلقون راحة الناس. وكان أكثر هؤلاء من أتباع الأمراء والخواتين، فيكتسبون بذلك قوة وجرأة ووقاحة، ولم يستطع أحد أن يحاسبهم على أفعالهم. ولذلك أصدر السلطان مرسوماً ينادي به في الأسواق والأماكن العامة، أنه محظور على أي شخص أن يعطي نقوداً لمن ينتمي إلى هذه الجماعة، وإذا سمع أن شخصاً اغتصب نقوداً من أحد السكان، فإن على المسئولين أن يستعيدوها منه بتحطيم رؤوس الحمارين والحمالين وكسر أيديهم وأرجلهم، وذلك بضربهم بالهراوات إذا ما سمعوا صوت أجراس الجمال والبغال، وعلى أثر هذه السياسة

---

(١) رشيد الدين: المصدر السابق، ص٣٩٨ – ٤٠٠؛ وخواندمير: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٧.

السلطانية فقد زالت عن الخلق المشقة، وزالت هذه الأطماع، وأمن الناس[1].

من إصلاحات السلطان غازان الاجتماعية ما صدر في المرسوم الأربعين، من الإقدام على محاربة الرذيلة بشتى الطرق، حيث كان في المدن الكبرى من يُكرهون العاهرات على الإقامة بجوار المساجد والخوانق ومساكن الناس، وكذلك الحال بالنسبة إلى الجواري اللائي كن يجلبن من الأطراف، فقد كان أكثر التجار يميلون إلى بيعهن إلى أصحاب بيوت الدعارة؛ لأن أكثر هؤلاء كانوا يشترونهم بأثمان تفوق ما يعرضه الآخرون. وكان لبعض من تلك الجواري حمية وإرادة، فلم يكن يرغبن في قرارة أنفسهن أن يُبَعْنَ إلى أصحاب بيوت الدعارة. ولكن التجار كانوا يبيعونهن قهراً وقسراً، ثم يجبرن على ممارسة الرذيلة.

وفي ظل هذه الأوضاع أمر السلطان قائلاً: "إن وضع المواخير[2] وإقامة العاهرات فيها أمر محظور ومذموم، وإن القضاء على هذه الظاهرة، وإزالة آثارها لمن أوجب الواجبات ولوازمها...". ونظراً لأنها عادة قديمة فإن إزالتها لا تكون دفعة واحدة؛ فينبغي التدرج في القضاء عليها. فبدأ بالنساء اللائي لا يرغبن في تلك المهنة، فصدر مرسوم يقضي بأن كل جارية لا ترغب في ممارسة الرذيلة في بيوت الدعارة، لا تباع إلى هؤلاء المنحرفين. وأما من يقمن في تلك البيوت، فإن كل من تريد أن تخرج منها، يعين لها ثمن تُشترى به، ثم تخرج من هذه البيوت، وتزوج من زوج تختاره[3].

كانت هذه أبرز إصلاحات السلطان غازان الاجتماعية، وهي دالة على رغبة حقيقية في إزالة السلبيات من المجتمع، والقضاء على الظلم الاجتماعي، والتخلص من الفواحش والموبقات، على أن يتحقق ذلك كله من خلال رؤية إصلاحية متدرجة،

---

(١) رشيد الدين: المصدر السابق، ص٤٠١.

(٢) المواخير: جمع ماخور، وهو بيت للدعارة وممارسة الرذيلة، وهو مجمع أهل الفسق والفساد. (ابن منظور: لسان العرب، ط. دار المعارف بالقاهرة، مادة: م.خ. ر، جـ٦، ص ٤١٥٢.

(٣) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، ص٤٠٤.

تتعامل -بحكمة- مع ما رسخ واستقر في المجتمع من مظالم ورذائل؛ حتى يضمن تحقيق التغيير الاجتماعي المنشود القائم على إشاعة العدل والطهارة والأمن والاستقرار، وإنزال العقوبات بالمجرمين طبقًا للعرف السائد في المجتمع.

كانت هذه مراسيم أصدرها السلطان غازان لإصلاح القضاء والعمران والمجتمع؛ حيث نجح في ضبط أخلاقيات الناس ومعاملاتهم بطريقة متدرجة، تحقق الإصلاح المنشود.

***

قائمة المصادر والمراجع

أولا-القرآن الكريم.

ثانيا-المصادر الفارسية:

أبرو، حافظ (ت/ ٨٣٤هـ):

- ذيل جامع التواريخ رشيدي، شامل وقايع ٧٠٣هـ.ق، باهتمام خانبابياني، سلسلة انتشارات انجمن آثار ملي (٨٨)، جاب دوم، تهران، سال (١٣٥٠هـ. ش) .

خواندمير، غياث الدين بن همام الحسيني (ت/ ٩٤٢هـ):

- حبيب السير في أخبار أفراد البشر، جلدسوم، انتشارات كتابخانة خيام، تهران (١٣٣٣هـ. ش).

القاشاني، أبو القاسم عبد الله بن محمد:

- تاريخ أولجاتيو، باهتمام مهين همبلي، نشر بنكاه، ترجمة ونشر كتاب، تهران (١٣٤٨هـ. ش).

المستوفي القزويني، حمد الله بن أبي بكر (ت/ ٧٥٠):

- تاريخ كزيدة، باهتمام دكتر عبد المحسين، تهران (١٣٣٩هـ. ش).

وصاف، أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله (وصاف الحضرة):

- تاريخ وصاف، بمباي، (١٣٩٦هـ) .

ثالثا-المصادر العربية:

ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي:

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط(٢) (١٩٨٢م) .

البخاري: محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ):

- صحيح البخاري، تصحيح: محمد منير الدمشقي، بيروت، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٥م.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي (ت/ ٧٧٩هـ):

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به درويش الجويدي، بيروت – المكتبة العصرية، (د. ط) (١٤٣٣هـ.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت/ ٨٧٤هـ):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر – وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د. ط. ت).

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت/ ٨٥٢هـ):

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مصر - دار الكتب الحديثة، (د.ط.ت).

الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت/ ٦٢٦هـ):

- معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت - دار الكتب العلمية، ط (١) (١٩٩٠م).

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت/ ٧٤٨هـ):

- ذيول العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، بيروت - دار الكتب العلمية، (د. ط. ت).

- العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، بيروت - دار الكتب العلمية، (د. ط.ت) ج٣، ص٣٩٤؛

رشيد الدين، فضل الله بن عماد الدولة الهمداني (ت/ ٧١٨هـ):

- جامع التواريخ (الإيلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من أباقاخان إلى كيخاتو خان)، نقله إلى العربية: محمد صادق نشأت وفؤاد الصياد، راجعه: يحيى الخشاب، مصر - دار إحياء الكتب العربية (د. ط. ت)

- جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، ترجمة: فؤاد الصياد، القاهرة - الدار الثقافية للنشر، ط(١)، (٢٠٠٠م)،

الشوكاني، محمد بن علي (ت/ ١٢٥٠هـ):

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة - مطبعة السعادة، ط(١) (١٣٤٨هـ) .).

الغياثي، عبد الله بن فتح الله:

- التاريخ الغياثي، تحقيق: طارق نافع الحمداني، بغداد - مطبعة أسعد، (د. ط) (١٩٧٥م).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت/ ٧٣٢هـ):

- المختصر في أخبار البشر، بيروت - دار المعرفة، (د. ط. ت).

ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق (ت/ ٧٢٨هـ):

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بيروت - دار الكتب الثقافية، (د.ط) (١٩٨٧م) ص٢٢٩.

القَرَماني، أحمد بن يوسف (ت/ ١٠١٩هـ):

- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بيروت - عالم الكتب، (د. ط. ت).

الكتبي، محمد شاكر (ت/ ٧٦٤هـ):

- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، بيروت – دار صادر، (د. ط. ت).

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ):

- البداية والنهاية، وثقه: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت – دار الكتب العلمية، ط(١) (١٩٩٤م)، وطبعة: دار المعارف بالقاهرة.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت/ ٧١١هـ):

- لسان العرب، بيروت – دار صادر، ط(٣)، (١٩٩٤م)، وطبعة دار المعارف بالقاهرة، د. ت.

ابن الوردي، زين الدين عمر (ت/ ٧٤٩هـ):

- تتمة المختصرة في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، بيروت – دار المعرفة، ط(١)، (١٩٧٠م).

اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت/ ٧٦٨هـ):

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت – مؤسسة الأعلمي، ط(٢)، (١٩٧٠م).

رابعًا- المراجع الفارسية:

اشبولر، برتولد:

- تاريخ مغول در إيران،سياست، حكومت، فرهنگ دوره ء ايلخانات، ترجمة فارسي ازآلماني: محمود مير آفتاب، جاب بنجم، شركت انتشارات علمي وفرهنگ، تهران (١٣٧٤هـ. ش) (١٩٩٥م).

بارتولد، فازيلي:

- تذكرة جغرافياي تاريخي إيران، ترجمة: حمزة سرداورو (طالب زاده)، طهران (١٣٠٨هـ.ش).

ذبيح الله صفا "دكتر":

- تاريخ أدبيات در ايران، كتاب سوم، انتشارات فردوسي، جاب"، تهران (١٣٧٣هـ. ش) مطابق (١٩٩٤م).

خامسًا- المراجع العربية:

أحمد، محمد أحمد:

- دخول مغول العراق وفارس الإسلام، دار الفكر العربي، (د.ط)، (١٩٨٨م)

إقبال، عباس:

- تاريخ المغول منذ حملة جنيكزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوب، (د. ط. ت).

- تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية، ترجمة: محمد علاء

الدين منصور، القاهرة – دار الثقافة، (د. ط)، (١٩٩٠م)،

آل محمود، عبد الله بن زايد:

– تحديد قضية الصداق، قطر، (١٣٩٦هـ.

أنيس، إبراهيم وآخرون:

– المعجم الوسيط، مطابع الأوفست بالقاهرة، ط٣، ١٩٨٥م.

بروكلمان، كارل:

– تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، بيروت – دار العلم للملايين، ط(٥)، (١٩٩٦م)،

شبارو، عصام محمد:

– السلاطين في المشرق العربي (المماليك)، بيروت – دار النهضة العربية، (د. ط. ت)

الصياد، فؤاد عبد المعطي:

– الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكوخان)، قطر – جامعة قطر، (د. ط)، (١٩٨٧م)،

– المغول في التاريخ من جنكيز خان إلى هولاكوخان، القاهرة – المكتبة التاريخية (د. ط)، (١٩٦٠م).

– مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، القاهرة – دار الكتاب العربي، ط(١)، (١٩٦٧م).

العبد محمد علي:

– ابن تيمية والمغول، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت – السنة السادسة عشرة، العدد (١٨٧)، رجب (١٤٠٠هـ).

* * *